ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: https://eduj.uowasit.edu.iq

Prof. Dr. Emad Abdul-Qadir Mohammed

University of Raparin-college of Human Sciences

Asis. Prof .Dr .Reber Jaafar Ahmed Mayi

University of Duhok-college of Human Sciences

Email:
imadabid75@gmail.com

reber.jaafar@uod.ac

Keywords:

Civilization, Mesopotamia, Shamchara Library.

A r t i c l e i n f o

Article history:

Received 29.Dec.2021

Accepted 17Feb.2022

Published 28.Feb.2022

History of libraries in Mesopotamia (Shamshara Library as an example)

A B S T R A C T

Libraries are not exclusive to our modern world, but have existed since ancient times, as civilizations boasted about their libraries that collected scrolls of science in that era, some of them were destroyed due to a brutal attack from another country, and some neglected and their contents were stolen, but this is all evidence of the importance of libraries and knowledge.

A library is defined as a place designated for keeping books and literature of all kinds. Libraries are divided into two types: private libraries, which mean a collection of books owned by a person, such as the Timurid Treasury that was transferred to the Dar al-Kutub in Cairo, for example, and public libraries, which refer to places owned by the state for the purpose of collecting a number of books. A large number of books are designated for the benefit of readers and researchers in rooms equipped and designated for reading and research, while the books and literature in libraries are varied to deal with various types of science and knowledge written in several languages. The arts and other sciences meet the different desires and tastes of individuals.

The limitation of the role of the library in providing knowledge and science resources to its researchers is limited to it in a narrow sense. It provides the individual with an opportunity for self-learning that creates from him a creative individual who is familiar with the issues of his society and his surroundings, which results in a refined and special culture that distinguishes each society from other societies, in addition to the role of libraries in preserving the cultural heritage of each society. The culture that can only exist with it, culture has been defined as that complex whole that includes knowledge, beliefs, arts, morals, laws, customs and any capabilities that a person acquires as a result of his presence in a society, and these are the matters that libraries seek to preserve and reduce through the ages, which saves us To conclude that the development of libraries is a real indicator by which to measure the development of countries.

Shamshara Library is one of the most important cultural signs of the ancient civilization of Iraq, as we present this sign as a lamp that sheds light on the great civilization of Mesopotamia.

© 2022 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/eduj.Vol2.Iss47.3790

تاريخ المكتبات في بلاد الرافدين، (مكتبة شمشارة إنموذجاً)

أ.د. عماد عبد القادر محمد سعيد
جامعة رابه رين / كلية العلوم الانسانية

أ.م.د. ريبر جعفر أحمد مايى
جامعة دهوك / كلية العلوم الانسانية

المستخلص:

المكتبات ليست حصرا على عالمنا الحديث، بل موجودة منذ القدم، حيث تفاخرت الحضارات بمكتباتها التي جمعت لفائف العلوم في ذلك العصر، تدمر بعضها بسبب هجوم غاشم من دولة أخرى وبعضها أهمل وسرقت محتوياته، ولكن هذا كله دليل على أهمية المكتبات والمعرفة.

تُعرَّف المكتبة بأنّها مكان مخصص لحفظ الكتب والمؤلفات على اختلافها، وتنقسم المكتبات إلى نوعين هما المكتبات الخاصة وتعني مجموعة الكتب التي يملكها شخص من الأشخاص كالخزانة التيمورية التي تم نقلها إلى دار الكتب في القاهرة مثلاً، والمكتبات العامة التي تشير إلى الأماكن التي تملكها الدولة لغاية جمع عدد كبير من الكتب المخصصة لينتفع بها القرّاء والباحثون في قاعات مجهزة ومخصصة للقراءة والبحث، فيما تتنوّع الكتب والمؤلفات في المكتبات لتتناول أنواع شتى من العلوم والمعارف المكتوبة بلغات عدّة، فيُرى فيها كتب الطب والجغرافيا والأدب والتاريخ والعلوم والفلك والتراجم واللغات والفنون وغيرها من علوم تلبي رغبات الأفراد وأذواقهم على اختلافها.

إنَّ حصر دور المكتبة في توفير موارد المعارف والعلوم للباحثين عنها يُعدُّ حصراً لها في مفهوم ضيق، فالمكتبة تُعدُّ مصدراً مهماً من مصادر تشكيل ثقافة المجتمع فيما تقدّمه للأفراد من فرص للتواصل وتعلم مهارات اكتساب المعرفة، وتحدٍ للفرضيات، وبحثٍ عن الحقائق، وتبادل لوجهات النظر، فالمكتبة تتيح للفرد فرصة للتعلم الذاتي الذي يخلق منه فرداً مبدعاً ومطلعاً على قضايا مجتمعه ومحيطه، وهو الأمر الذي ينتج عنه ثقافة راقية وخاصة تميّز كل مجتمع عن المجتمعات الأخرى، بالإضافة إلى دور المكتبات في حفظ الإرث الثقافي الخاص بكل مجتمع، فالإرث الثقافي يشكّل عنصراً أساسياً من عناصر الثقافة التي لا تقوم إلّا بها، فقد عُرّفت الثقافة بأنها ذلك الكل المركب الذي يتضمن المعارف والعقائد والفنون والأخلاق والقوانين والعادات وأي قدرات يكتسبها الإنسان نتيجة لوجوده في مجتمع ما، وهي الأمور التي تسعى المكتبات لحفظها واختزالها عبر العصور، مما يخلُص بنا لاستنتاجٍ مفاده أنّ تطور المكتبات يعدُّ مؤشراً حقيقياً يُقاس به تطوّر الدول، ومكتبة شمشارة من اهم العلامات الحضارية الخاصة بحضارة العراق القديم، اذ تقدم تلك العلامة كمصباح يلقي الضوء الى حضارة بلاد الرافدين العظيمة.

الكلمات الافتتاحية: حضارة، بلاد الرافدين، مكتبة شمشارة.

التمهيد:

شهدت بلاد الرفدين ظهور العديد من دور السجلات وخزائن الكتب، أو ما يطلق عليها اسم (المكتبات) في الوقت الحاضر، وقد بينت احدى الدراسات المتعلقة بظهور المكتبات في تاريخ بلاد الرافدين، بان تلك الدور لم تكن في أول أمرها على النحو الذي يشهده اليوم من تصنيف وتنسيق وفهرسة وبناء خاص بها، بل كانت بشكل بسيط، ثم طرأ عليها التحسين والتطوير في فترات لاحقة، فضلا عن ذلك فقد كانت تلك الدور وخزائن الكتب، متكونة من مجموعة كبيرة من المدونات الرسمية والنصوص الدينية، علاوة على القطع الأدبية والتاريخية، وما يتعلق بأنشطة الحياة اليومية من بيع وشراء وما شابه ذلك (عواد : ١٩٤٨، ص٤٢)، وهذا يعني بأن الدور التي أشرنا اليها – أي المكتبات – لم تظهر في العصور الوسطى ولا الحديثة أيضاً، بل يرجع نشوئها الى عصور قديمة في بلاد الرافدين، وهي دلالة واشارة واضحة بأنه لولا ظهور تلك الدور والخزائن في العصور القديمة، لما ظهرت بالشكل المطلوب في العصور التالية .

وقد تنبه الآثاريون والباحثون في نتاجاتهم وبحوثهم، الى وجود نماذج عديدة من المكتبات في العديد من مناطق ومواقع بلاد الرافدين، حيث قد اتيح لعلماء الآثار الكشف خلال تنقيباتهم الثأرية عن العديد من خزائن الكتب والمكتبات القديمة، التي كانت مطمورة تحت الثرى، واحتوت كل منها على الآلاف من الألواح الطينية، ومن أهم النماذج لبقايا تلك المكتبات القديمة التي يمكن الاشارة اليها فحسب في هذا الموضع، هي مكتبات : (نفر، لجش، سيبار، كيش، شادوبم – تل حرمل – ، مكتبة الملك الاشوري آشور بانيبال، ومكتبة نوزي) (عواد : ١٩٤٨، ص ٤٤– ٧٦ ؛ عبدالله : ٢٠١٣ – ٢٠١٤، ص ٧٢ – ٨٥) .

ونظراً لأن بعض المكتبات التي أشرنا اليها أعلاه، قد كتبت عنها مؤلفات ودراسات عديدة بما فيه من الكفاية، لذا وجدنا من الضروري التطرق في هذا البحث، الى مكتبة أخرى كانت لها دور في حضارة بلاد الرافدين ، ألا وهي (مكتبة شمشارة)، وللضرورة العلمية والتاريخية وجب تقسيم البحث على مباحث عدة وهي :

أولاً: دور التنقيبات الأثرية في العثور على مكتبة شمشارة

حين اتجهت النية لأنشاء سد دوكان، على الزاب الصغير(الأسفل)، قررت مديرية الآثار العامة في العراق، القيام بمسح أثري شامل للمنطقة، للتعرف على أزمنتها الحضارية، وألفت لأجل ذلك بعثة من العديد من الآثاريين، حيث تألفت من السادة (الدكتور بهنام أبو الصوف، ومحمد علي مصطفى ومظفر الشيخ) (صالح، ١٩٨٧: ص٧٦)، وقد بدأت تلك البعثة بمسح أثري للتلول الأثرية للمنطقة في عامي (١٩٥٤ و١٩٥٥)، وذلك من أجل اختيار أهم التلال منها لإجراء تحريات أثرية انقاذية منها، وعلى اثر هذا تم تسجيل نحو (٤٠) موقعاً أثرياً في منطقة الفيضان، بعدها اختارت أهم التلال وشرعت منذ عام (١٩٥٦) بالتنقيب في تلك التلال، وأرسلت من أجل ذلك العديد من البعثات للقيام بعمليات التنقيبات (باقر، ٢٠٠٩، ج١ : ص ٢٣٥– ٢٣٦)، والملاحظ أنه قد شملت التنقيبات المنتظرة والمستمرة سبعة تلول أثرية مهمة، وهي كالآتي : (كمريان، تل الديم) اللتان تقعان في الضفة الشرقية من الزاب الأسفل، اضافة الى التلال (قوره شينه، باسموسيان، كامه م، شمشارة، ودوو گردان)، وتلك التلال الأخيرة تقع بالجانب الغربي من الزاب الأسفل (باقر، ٢٠٠٩، ج١: ص ٢٣٦) .

وما يهمنا من التلال المذكورة آنفاً، تل شمشارة، نظراً لصلته بموضوع بحثنا الذي نبغي طرحه، ففي هذا التل قامت البعثة الآثارية الدنماركية المتكونة من عدة آثاريين يترأسهم الآثاري (انگهولت) وشاركه في التحريات الأثرية (ليسو)، فقاموا بالتنقيب في هذا التل بين عامي (١٩٥٧– ١٩٥٨) (Eidem , Lassoe , 2001, vol 1: p 13)، وبعد توقف أعمال البعثة الدنماركية، استأنفت مديرية الآثار العراقية برئاسة (عبدالقادر حسن) بالتنقيب مجدداً في تل شمشارة (صالح،١٩٧٨: ص ٧٨, Eidem , 1992 : p 11) ، وقد توصلت عمليات التنقيب الى نتائج مبهرة آثارياً، وذلك من خلال اكتشافها

لبقايا (١٦) طبقة أثرية، ودور سكني ترجع لعصور تاريخية مختلفة (الدباغ، ١٩٨٥، ج١ : ص ١٣١)، ويبدو أن من أهم ماتم التوصل اليه خلال عمليات التنقيب التي تمت الاشارة اليها ، هو العثور على ألواح طينية ذات أهمية سياسية وثقافية واقتصادية ولغوية ومجالات أخرى .

المهم في الأمر، انه في عام (١٩٥٧) تم العثور على العديد من الألواح الطينية، في احدى غرف الأبنية، التي يعتقد أنها كانت معبداً في احدى الفترات التاريخية، والملاحظ أنه تم العثور على أول لوح من تلك الألواح بتاريخ (٣٠) من شهر تموز من العام المشار اليه أعلاه، وبعد مرور يومين تم الكشف عن (٦) ألواح أخرى، ومن ثم تم العثور على الألواح الأخرى في تل شمشارة (Eidem , Lassoe , 2001, vol 1: p 13)، فضلاً عن تلك الألواح المكتشفة، تم الكشف والعثور على بعض الأختام التي استخدمها مستوطنوا شمشارة (Lassoe , 2001, vol 1: p 14) , Eidem لأنشطتهم وأغراضهم اليومية، علاوة على ذلك، عثر في التل المذكور على العديد من الآثار الأخرى، التي لا يتسع المجال لذكرها في هذا البحث، ولكي لا نخرج عن نطاق وصلب الموضوع المطروح، مهما يكن فقد استمرت عمليات التنقيب في تل شمشارة لحد عام ١٩٦٠ وتم تقسيم الاشياء الأثرية التي تم العثور عليها بين المتحف الوطني العراقي والمتحف الوطني للدنمارك .

بعد ذلك توقفت اعمال التنقيب في تل شمشارة، وذلك بعد اكتمال عملية تشييد سد دوكان، حيث تمت عملية ملء السد المذكور، وذلك للاستفادة من مياه تلك المنطقة، فكانت سبباً لتعرض تل شمشارة والتلال الأثرية الأخرى للغرق، ومنذ ذلك الوقت لم تجر عمليات التنقيب في التل المذكور، نظراً لارتفاع منسوب مياه نهر الزاب الاسفل.

وبعد مرور نصف قرن ونيف، ابتدأت عمليات التنقيب في التل المذكور، ولاسيما اثر انخفاض منسوب نهر الزاب الصغير، الأمر الذي اتاح للبعثات الآثارية التنقيب فيها مجدداً، وقد تألفت البعثة الآثارية من مجموعة من الفرق الآثارية وهي كل من : (البعثة الآثارية لجامعة لايدن الهولندية) و (جامعة لايبزك الالمانية) و(معهد نينو للدراسات الشرقية– NINO) فضلاً عن جامعة صلاح الدين – أربيل، وضمت تلك البعثة (١٢) شخصًا، وبدأت عملها في التنقيب في تل شمشارة والتلال المحيطة بها في الشهر التاسع (سبتمبر) من عام (٢٠١٢)، وقد تمخضت عن تلك التنقيبات نتائج مهمة أشارت اليها البعثة في تقريرها غير المنشور والمحفوظ في (متحف السليمانية)، ويمكن تلخيصها على النحو أدناه :

١. الحصول على العديد من القطع الفخارية الملونة والغير الملونة وهذا دليل على انها تعود لعصور متباينة، تم الاستفادة منها لحفظ الحبوب والسوائل وما شابه ذلك .
٢. ظهور بعض انواع من الأحجار ومنها حجر الاوبسيديان .
٣. العثور على بعض الهياكل العظمية للإنسان منها لأطفال وبالغين أيضاً.
٤. ومن نتائج عملية التنقيبات هو الحصول على بعض الاختام التي استخدمها سكان شمشارة لأغراضهم اليومية .
٥. العثور على بقايا بناية يعتقد انها كانت قصراً، ومتكونة من باحة ومدخل وعدة غرف أيضاً، ومن المحتمل ان كل غرفة كانت مخصصة حسب احتياجات الساكنين فيها .
٦. كما ظهرت خلال التنقيبات بعض القطع والأدوات المصنوعة من النحاس ومنها الأبر النحاسية، فضلاً عن اثار اخرى اشارت اليها البعثة في تقريرها المذكور أنفاً (التنقيبات الاثارية في شمشارة، تقرير غير منشور، متحف السليمانية، ٢٠١٢) .

مهما يكن من أمر، يمكن القول أن الواح وأرشيف شمشارة تعد من أهم المصادر لتاريخ منطقة رانية، كما تعد في الوقت نفسه مصدراً بارزاً لتاريخ بلاد الرافدين، حيث ذهب أحد الباحثين المختصين بالتاريخ والآثار القديمة بالقول: بأن الألواح المذكورة هي من أهم وأبرز المصادر والوثائق لإحدى الفترات التي مرت على منطقة رانية، بل عدها نافذة لالقاء

نظرة تاريخية على تلك المنطقة في العصور القديمة، ففي ألواح شمشارة معلومات قيمة في العديد من الجوانب، ومنها الجوانب التاريخية والجغرافية واللغوية (أحمد، ٢٠٠٧ : ص ٢٥٩) .

ثانياً :كيفية حفظ الألواح في مكتبة شمشارة

قد يتساءل البعض عن كيفية حفظ الواح شمشارة، فهل كان للطبيعة تأثير في حفظ تلك الألواح من التلف والضياع ؟، وكيف تم حفظها بحيث بقيت بعضها كما هي دون أن تتعرض لتلف أو تشويه بالغ ؟، وغيرها من الأسئلة التي تتبادر لذهن الباحثين والقراء والمعنيين بهذا الموضوع.

ولربما كان للعامل الديني دوراً في حفظ تلك الالواح، لان الالواح وجدت في احدى الأبنية التي يعتقد أنها كانت بناية دينية ومعبداً في فترات تاريخية مضت، كما سبق الذكر، بمعنى ان حفظ الالواح في مكان مقدس (المعبد) يعطي لتلك النصوص والالواح دلالة دينية مقدسة، لا يجب تدنيسها أو اتلافها ولا حتى تزييف ما جاء فيها، والمعروف أن في حضارة وادي الرافدين توجد تعليمات تخص المكتبات تمنع الاستيلاء على الالواح أو اتلافها أو تحويرها، فكل من يقوم بتزييف أو تحريف أو اتلاف أو القيام بسرقة نص من النصوص، أو لوح من الالواح الطينية يحلُّ عليه غضب الآلهة ولعنتها (اسماعيل، ١٩٨٥، ج١ : ص ٢٧١)، ومن المرجح أن تلك التعاليم كانت تسري وتنفذ في مكتبة شمشارة أيضاً، بدليل أنه يكفي القول أن العثور على تلك الالواح في بناية دينية، يعطينا انطباعاً على مدى أهمية تلك الالواح التي وجدت في تل شمشارة .

أما فيما يخص كيفية حفظ تلك الالواح من قبل مدونيها والمسؤولين عن حفظها، ففي الواقع ليست لدينا معلومات كافية ووافية عن كيفية حفظها، لكن من خلال الرجوع الى بعض المصادر المعنية بالأمر والمتعلقة بكيفية حفظ المكتبات القديمة بشكل عام، كذلك من خلال ملاحظة بعض الآثاريين الذين نقبوا في هذا التل الأثري، ودونوا ما أكتشفوه في تقاريرهم الآثارية، يمكن الاشارة انه اتبعت عدة طرق لحفظ الالواح المكتشفة في مكتبة شمشارة، على غرار ما كان متبعاً في المكتبات الأخرى المكتشفة في بلاد الرافدين، لاسيما اذا ما علمنا أن الواح شمشارة قد كتبت بالخط المسماري، وهو الخط الذي كان معمولاً به في بلاد الرافدين، كما أن الغالبية العظمى من نصوص مكتبات بلاد الرافدين قد كتبت بذلك الخط، لذا فلا غرو اذا ماقلنا ان طريقة حفظ الالواح التي كانت معروفة في بلاد الرافدين، اتبعت أيضاً في حفظ الواح مكتبة شمشارة .

ففي بلاد الرافدين استعمل سكانها الالواح الطينية من أجل حفظ العديد من الرقم والارشيفات الخاصة والعامة، بدليل ان العديد من متاحف العالم لا زالت تحتفظ بمثل تلك الالواح (عبدالله، ٢٠١٣-٢٠١٤ : ص ٦٧)، وما يلاحظ أنه كانت الرقم والالواح الطينية تحفظ في سلال مصنوعة من الطين والقصب، ويوضع معها بطاقة تعريفية بموجب موادها المختلفة، فعلى سبيل المثال لا الحصر، وجدت أمثلة على ذلك في (تل قوينجق) و (تل حرمل)، كما تم حفظ الالواح الطينية داخل جرار فخارية، وقد اتضح ذلك بعد العثور في الموقع الأثري (كيش) على بقايا جرار مكسورة مرتبة حول جدران بعض الغرف، كانت تحفظ فيها بعض الرقم الطينية (اسماعيل، ١٩٨٥، ج١ : ص ٢٦٥ – ٢٦٦) .

وفي السياق نفسه، وجد الآثاريون أثناء تحرياتهم الأثارية في بعض المواقع الأثرية العراقية، على بعض الرقم الطينية، محفوظة داخل صناديق معمولة من الطين، وذات أغطية دون عليها من الخارج عناوين الرقم (اسماعيل، ١٩٨٥، ج١ : ص ٢٦٦)، كما تم العثور على رقم أخرى وضعت بطاقات تعريفية بمحتوياتها، وكانت مثل تلك الصناديق تودع في ذمة أحد الأشخاص، شريطة الحصول على مبلغ يُدفع له، وقد عرف باسم (رئيس الرقم) (عبدالله، ٢٠١٣- ٢٠١٤ : ص٦٨)، ومن المرجح ان تلك الصناديق هي بمثابة السجلات المستعملة في الوقت الحاضر (الجميلي، ٢٠٠٣ : ص ١٢٩)، وكانت الالواح الطينية تحفظ وفق ترتيب على دكاك معمولة من اللبن أو الآجر، وأيضاً كانت توضع على رفوف

طينية أو خشبية، فضلا عن ثقوب وجدت في الجدران، ومن المحتمل أنه كانت تخصص غرفة في المعابد أو القصور، وحتى البيوت لوضع الالواح والرقم المدونة فيها (عبدالله، ٢٠١٣– ٢٠١٤ : ص٦٨)، وقد أشار أحد الباحثين في معرض تطرقه الى موضوع المكتبات في بلاد الرافدين، أن الالواح الطينية ذات المجاميع الكبيرة كانت تحفظ في أماكن خاصة، سميت باللغة السومرية (أي – دبا)، وباللغة الأكدية (بيت – تبي)، ومعناها (بيت الرقم)، كما أن تلك التسمية أطلقت على المدرسة أيضاً (اسماعيل، ١٩٨٥، ج١ : ص ٢٦٧ ؛ الجميلي، ٢٠٠٣ : ص ١٢٩) .

علاوة على ذلك، فقد سمي مخزن حفظ الرقم باسم (جرة رقم)، كما عرف الموظف المسؤول عن مخزن حفظ الرقم والالواح باسم (ابن جرة الرقم)، بينما كان يسمى الشخص المسؤول عن صندوق الرقم والالواح باسم (مدير صندوق الرقم) (سليمان، ٢٠٠٥ : ١٧٥).

من جانب آخر، يبدو أنه كانت هناك طرق وأساليب لاستعارة الالواح الطينية من المكتبات، على غرار ما هو متبع في الوقت الحاضر من حيث استعارة الكتب، اذ أشار الباحث والمؤرخ العراقي (عامر سليمان)، الى أن المستعير يترك رقماً صغيراً يذكر اسم النص المستعار، وكذلك اسمه، وقد يكتب أيضاً عبارة وهي (تمت استعارة الرقيم من قبل الشخص الفلاني) (٢٠٠٥ : ص ١٧٦)، والهدف من ذلك معرفة الشخص الذي قام باستعارة الرقيم أو النص، والحد من عمليات السرقة أو تشويه الرقم التي قد تتعرض لها من قبل بعض الأفراد، وعلى الأرجح ان تلك الطرق المتبعة، المشارة اليها أعلاه، كانت السبب وراء حماية آلاف الألواح الطينية التي كانت الموجودة في المكتبات القديمة، وتسنى للآثاريين العثور عليها فيما بعد في التنقيبات التي قاموا بها في المواقع الأثرية .

مهما يكن من أمر، فاذا ما انتقلنا الى السؤال الثاني الذي طرحناه فيما سبق، وهي كيف كان يتم حفظ ألواح مكتبة شمشارة ؟ بحيث بقيت بعضها كما هي دون تلف أو تشويه، وللإجابة عن هذا السؤال يمكن القول ان الطرق والاجراءات التي اتخذت واتبعت في بلاد الرافدين لحفظ الألواح والرقم الطينية في الدور والمكتبات، هي نفسها التي تم اتخاذها لحفظ الواح شمشارة .

وبتعبير أدق، فعلى الأرجح أنه في مكتبة شمشارة كان المشرفون عليها، يقومون بحفظ الرقم والالواح الطينية اما في سلال مصنوعة من الطين، وقد توضع معها بطاقة تعريفية من أجل التعرف على المواد والمحتوى والمضمون الموجود في تلك الرقم، أو أن تحفظ تلك الرقم الطينية داخل جرار فخارية، ومن المحتمل أيضاً أن الرقم والالواح في شمشارة كانت تحفظ في داخل صناديق مصنوعة من الطين، ويبدو أن تلك الصناديق كانت تودع في ذمة أحد الأشخاص، الذي سبق وأن أطلق عليه في بلاد الرافدين اسم (رئيس الرقم)، كما كانت الرقم في شمشارة تحفظ بحسب الترتيب على دكاك أو رفوف، معمولة من اللبن أو الخشب، وهذا أمر وارد نظراً لتوافر مادتي (الطين والخشب) في منطقة رانية، فاستفاد سكان شمشارة والمشرفين على مكتبتها، مما هو متوافر في طبيعة منطقتهم أيما استفادة .

اضافة الى ما تم ذكره من قبل ، كانت تحفظ الالواح الطينية في البيوت السكنية أيضاً، لاسيما بيوت الكهنة والمسؤولين والكتاب أو التجار أو حتى أشخاص معروفين في المنطقة، بدليل العثور في تل شمشارة في أحد البيوت المكتشفة من قبل الآثاريين، على مجموعة مهمة من الرسائل الشخصية المتبادلة بين حكام منطقة شمشارة مع أحد ملوك بلاد آشور، الذي يرجع للعصر الآشوري القديم، ألا وهو الملك (شمشي – أدد الأول) (١٨١٣ – ١٧٨١ ق.م) (اسماعيل ، ١٩٨٥، ج١ : ص ٢٦٧ ؛ عبدالله، ٢٠١٣– ٢٠١٤ : ص٦٨)، وكذلك مراسلات حكام منطقة رانية وما جاورها، الذين غالبيتهم من الخوريين والكوتيين، مع ملك آشوري آخر هو الملك (اشمي – داكان الأول) (١٧٨٠ – ١٧٤١ ق.م)، فعليه يمكن القول أنه نظراً لضرورة تلك الألواح الطينية في شمشارة، التي غالبيتها هي رسائل سياسية بين الملوك والأمراء، كان من الضروري أن تحفظ تلك الرقم في أماكن خاصة، كما كان من المهم وضع مشرفين يتولون كيفية حفظها بشكل مرتب، وقد يكون هناك مترجمين خاصين يتولون عملية الترجمة الشفوية للملوك و الحكام، لان أغلب

حكام المنطقة كانوا من الخوريين والكوتيين، كما أشرنا من قبل، وكانت رسائلهم مرسلة الى الدولة الآشورية، والمعروف أن هناك فرق واضح بين لغة الخوريين والكوتيين وبين اللغة الآشورية، وفي الوقت نفسه كانت الرسائل والألواح يتم تبادلها بين هؤلاء الامراء والملوك، وهذا يحتاج الى أن يقوم أحد من مشرفي مكتبة شمشارة بتبويب وتصنيف تلك الالواح والرسائل بشكل منتظم، وذلك من أجل الرد على الرسائل التي ترسل من طرف ثانٍ .

على أولئك الذين كانوا يتولون مسؤولية حفظ تلك الالواح في تلك المكتبة، وأيضاً على أولئك الذين تقع عليهم مسؤولية الحفاظ على صندوق الالواح، على غرار ما كان متبعاً في مكتبات ودور حفظ الالواح في بلاد الرافدين.

ثالثاً: أهمية مكتبة شمشارة بالنسبة لحضارة بلاد الرافدين:

يمكن عد مكتبة شمشارة من بين المكتبات المهمة، والتي لعبت دوراً مهماً في حضارة بلاد الرافدين خلال العصور التاريخية القديمة، وان تلك الأهمية التاريخية لم تأت اعتباطاً، بل اتضح هذا الأمر من خلال تركيز الآثاريين والمؤرخين على الألواح المكتشفة في تلك المكتبة، وترجمة تلك الألواح الى مختلف اللغات، فضلاً عن اجراءهم العديد من الدراسات والأبحاث الأكاديمية حولها، لكن مما يؤسف له ان تلك المكتبة لم تلق الأهمية الكبيرة من لدن الأبحاث والدراسات الجامعية العراقية والاجنبية، بل كانت جل اهتمامها التركيز بما ورد في الواح شمشارة من العلاقات السياسية، من خلال المراسلات المتبادلة بين الملوك والأمراء والحكام التي وردت في تلك الألواح، وعليه ومن أجل ذلك، وجدنا من الضروري القاء نظرة على أبرز الجوانب المهمة، التي وردت بين ثنايا تلك الألواح، المكتشفة في مكتبة شمشارة .

فمن الجانب الدبلوماسي، يتبين من الواح تلك المكتبة، مدى العلاقات الدبلوماسية بين القوى والكيانات السياسية في تلك الفترة التاريخية التي دونت فيها الألواح التي نحن بصددها، فضلاً عن اطهار المنزلة الدبلوماسية لحكام تلك القوى، ويتضح ذلك بجلاء من العبارات والمفاهيم الواردة في تلك المراسلات السياسية، فعلى سبيل المثال لا الحصر، وردت كلمة ولفظة (الأخ) في الرسائل المتبادلة بين ملك وأمير مع ملك وأمير آخر، ووفق المفاهيم والمدلولات السياسية، فان كلمة (الأخ) تدل على تساوي الملوك والأمراء فيما بينهم، وبتعبير آخر فانها اشارة واضحة على أن الملوك والأمراء متساوون من حيث المنزلة السياسية، على هذا الأساس يمكن التوصل الى نتيجة مفادها، وهي أن الواح مكتبة شمشارة تسبق العديد من الألواح والرسائل العائدة لبعض من بلدان الشرق الأدنى القديم بقرون مضت، من حيث ورود اللفظ السياسي (الأخ)، بل أنها سبقت رسائل (تل العمارنة) .

كما أظهرت الواح مكتبة شمشارة جانباً آخر، وتمثل بالجانب اللغوي، فعلى الرغم من أن تلك الألواح قد كتبت بالخط المسماري واللغة الأكدية، اللتان كانتا شائعتان في تلك الفترة التي كتبت فيها تلك الألواح والرقم الطينية، لكن من خلال التدقيق بين ثنايا تلك الرقم، يظهر لنا بوجود بقايا اللغة الخورية فيها، حيث دخلت تلك اللغة في تركيب أسماء الأعلام والأماكن الجغرافية الواردة في الرقم الطينية لمكتبة شمشارة، وهذا ان دل على شيء فانما يدل على دور الخوريين في كتابة العديد من تلك الرقم، ذلك الدور الذي دفعهم لادخال الكلمات والتراكيب اللغوية الخورية في نصوص مكتبة شمشارة، والجدير بالذكر أن الخوريون اعتبروا من التركيبات السكانية الموجودة في المنطقة.

أضف الى ذلك، فان لألواح المكتبة التي تطرقنا اليها، أهمية تاريخية تذكر، وذلك لتطرقها الى أهم الأحداث التاريخية في العصر الآشوري القديم، وهي الفترة المتزامنة لتدوين وظهور الواح مكتبة شمشارة، تلك الفترة المليئة بالأحداث التاريخية، ولا نبالغ اذا ما قلنا ان الواح تلك المكتبة أصبحت مصدراً للعديد من المؤرخين والباحثين، الذين أولوا اهتمامهم بدراسة الفترة المذكورة أنفاً، كما عدت في الوقت نفسه مصدراً لدراسة منطقة رانية القديمة وبلاد الرافدين أيضاً، حيث ان

الأحداث التي تم تدوينها وذكرها في تلك الرقم، تعطي صورة واضحة المعالم عن العلاقات السياسية للدولة الآشورية في عصرها القديم مع الخوريين والكوتيين.

من جانب آخر، لا نبالغ اذا ما قلنا انه على غرار مكتبات بلاد الرافدين، فان مكتبة شمشارة أظهرت للباحثين والآثاريين بوجود نوع من الترتيب والتنسيق والتنظيم فيها، فالمعلوم ان أغلب الألواح في تلك المكتبة، كانت على شكل مراسلات بين الملوك والأمراء، فإرسال اللوح أو الرسالة من الطرف الأول الى الطرف الثاني، قد تطلب في أغلب الأحيان أن يرد الطرف الثاني على الرسالة التي وجهها اليه الطرف الأول، وهذا دليل بأن الرسائل والرقم الطينية كانت تحفظ من قبل أمناء وموظفين يقومون بحفظ تلك الألواح الطينية، كما أسلفنا سابقاً، وذلك من أجل الرد على الرسائل المتبادلة بين الأطراف المعنية، وقد تنبه الآثاريون الى ذلك فقام بعضهم بوضع فهارس لألواح مكتبة شمشارة، وتصنيفها حسب المرسل والمرسل اليه، كما أظهروا أيضاً حجم الألواح الطينية المرسلة كلاً على حده (Eidem , Lassoe , 2001, vol 1: p181-184)، وهذا ان دل على شيء فإنما يدل على حسن التنظيم والادارة والحفظ الذي كان متبعاً في مكتبة شمشارة، وهي من الأمور المهمة للحفاظ على ما هو موجود في المكتبات من ألواح ومصادر قيمة.

الاستنتاجات

توصلت تلك الدراسة الى مجموعة من النتائج، يمكن استخلاصها على النحو أدناه :

١. تعد منطقة رانية غنية بالمواقع الآثارية المهمة، والتي ترجع لعصور تاريخية متباينة، وهذا الأمر الذي حفزت البعثات الآثارية الأجنبية والمحلية على حد سواء للتنقيب والتحري فيها، من أجل العثور على الأثار النفيسة فيها .
٢. لقد تبين لنا ان مكتبة شمشارة كانت من بين المكتبات الغنية بالالواح، وفي الوقت نفسه جاءت في تلك الالواح أخبار وحوادث مهمة حدثت في العصور التاريخية القديمة، بحيث كشفت وأزاحت عن العديد من الأمور التي كانت غامضة على المؤرخين والآثاريين ولا سيما منطقة رانية وبالأخص في العصر الأشوري القديم .
٣. كان تنظيم وترتيب الأمور المتعلقة بمكتبة شمشارة على غرار ما كان موجوداً في بلاد الرافدين، من حيث حفظ الألواح ووجود مشرفين وأمناء يقومون بادارة تلك المكتبة، في سبيل المحافظة على الألواح المدونة من الضياع والتلف، ولربما كانت تلك من الأسباب البارزة لبقاء تلك الالواح ووصولها كما هي الى أيدي الآثاريين .
٤. يتضح من الدراسة التي هي بين أيدي الباحثين والقراء، ان لإكتشاف الواح مكتبة شمشارة أهميتها اللغوية والتاريخية الواضحة المعالم، وقد تمثل الجانب اللغوي ببقاء بعض التراكيب والألفاظ اللغوية الخورية في نصوص تلك الرقم الطينية، على الرغم من أنها كتبت باللغة البابلية وبالخط المسماري.

المصادر: اولاً : المصادر العربية

١. اسماعيل، بهيجة خليل، (١٩٨٥)، الكتابة، من ضمن كتاب حضارة العراق، بغداد، ج١.
٢. باقر، طه، (٢٠٠٩)، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، الوجيز في تاريخ حضارة وادي الرافدين، دار الوراق للنشر المحدودة، لندن، ج١ .
٣. الدباغ، تقي، (١٩٨٥)، الثورة الزراعية والقرى الأولى، من ضمن كتاب حضارة العراق، بغداد، ج١.
٤. سليمان، عامر، (٢٠٠٥)، اللغة الأكدية، (البابلية – الأشورية)، تاريخها وتدوينها وقواعدها، الدار العربية للموسوعات، بيروت .
٥. صالح، قحطان رشيد، (١٩٨٧)، الكشاف الأثري في العراق، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل .
٦. عواد، كوركيس، (١٩٤٨)، خزائن الكتب القديمة في العراق، طبعة دار المعارف، (بغداد : ١٩٤٨) .

ثانياً: الرسائل والأطاريح الجامعية

١. الجميلي، عامر عبدالله، (٢٠٠١)، الكاتب في بلاد الرافدين، رسالة ماجستير مقدمة الى مجلس كلية الأداب، الموصل .
٢. عبدالله، حورية، (٢٠١٣-٢٠١٤)، الحياة الثقافية والفكرية في بلاد الرافدين دراسة تحليلية للأسطورة والملحمة نموذجاً نهاية القرن ٢٥ ق.م . نهاية القرن ١٧ ق.م، اطروحة دكتوراه مقدمة الى جامعة الجزائر، الجزائر .

ثالثاً : المصادر الكوردية

١. ئه حمه د، كوزاد محمد، (٢٠٠٧)، كوردستانى ناوه راست له نيوه ى يه كه مى هه زاره ى دووه مى ب. ز . دا، بنكه ى ژين، سليمانى.

رابعاً : المصادر الأجنبية

1. Eidem , Jesper , (1992) , The Shemshara Archives 2 , The Administrative Texts , Copenhagen.
2. Eidem , Lassoe , Jesper and Jorgen , (2001) , The Shemshara Archives , The Royal Danish Academy of sciences letters , Denmark , Vol 1 .

خامساً: التقارير الاثارية

١- (التنقيبات الاثارية في شمشارة، تقرير غير منشور، متحف السليمانية، ٢٠١٢) (باللغة الكوردية) .